النص الشرعي والمباني والنظريات الحداثوية – دراسة تحليلية –

م .د سلام باقر كاظم
جامعة القادسية – كلية التربية – قسم علوم القران والتربية الاسلامية
salam_ bbkk2000@yahoo.com.

الملخص :

إن الأدلة الشرعية هي الاس في إستنباط الأحكام الشرعية . لقد واجهت تلك الادلة مفاهيم جديدة عندالباحثين الذين يعرفون بالحداثويون , والذين يعتقدون بضرورة القراءة الجديدة للنص الديني ولاسيما مع القران الكريم .

ولهذا ينزع البحث للإجابة على الاشكالات المطروحة على الوجه التالي : ماهي تلك المباني والنظريات التي اثرت في قراءة النص الشرعي؟ وهل ممكن مناقشتها وفق الرؤى العلمية ؟ ومن هم ابرز رواد تلك النظريات من الباحثين ؟ قسم البحث الى عدة مقاصد بادئا بأهم تلك المباني وهو مبني التشكيك ونسبية المعرفة والتي جاءت كنتيجة طبيعية لتأثر بعض الباحثين بالفلسفة الغربية . والثاني كانت نظرية عدم معرفة لغة الدين بحقيقتها الواقعية والتي تسعى هذه النظرية الى إنكار إلوهية الوحي و ان لغة الدين هي لغة أسطورية وانها لغة الرموز, الثالث أنسنة النصوص الدينية الذي يناقش مبدأ تأصيل التسوية بين النص الديني وغيره مما تبناه بعض الباحثين والمفكرين الاسلاميين .

الكلمات المفتاحية لحداثويون , التشكيك ونسبية المعرفة , أنسنة النصوص الشرعية.

Abstract:

The legal evidence is the basis for deriving legal rulings. These evidences confronted new concepts among researchers who are known as modernists, and who believe in the necessity of a new reading of the religious text, especially with the Holy Qur'an. Therefore, the research tends to answer the problems raised in the following way: What are those premises and theories that influenced the reading of the legal text? Is it possible to discuss it according to scientific visions? Who are the most prominent pioneers of these theories of researchers? The research was divided into several purposes, starting with the most important of these buildings, which is based on skepticism and the relativity of knowledge, which came as a natural result of the influence of some researchers on Western philosophy. The second was the theory of not knowing the language of religion in its actual reality, which seeks to deny the divinity of revelation and that the language of religion is a mythical language and that it is the language of symbols. The third is the humanization of religious texts, which discusses the principle of rooting compromise between the religious text and others, which was adopted by some Islamic researchers thinkers **Modernists, skepticism and the relativity of knowledge, humanizing legal texts**.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد خاتم المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين .

اما بعد ..

إن الأدلة الشرعية ذات أهمية بمكان في عملية الاستنباط للأحكام الشرعية والتي ينظر اليها الفقيه باعتبارها ادوات ومباني لاستنباط الحكم الشرعي . لقد واجهت تلك الادلة مفاهيم جديدة ظهرت على الساحة الاسلامية في كتابات الباحثين الذين يعرفون بالحداثويون , والذين يعتقدون بضرورة قراءة الدليل الشرعي أو النص الديني في إطار المنهجية المعرفية الحديثة المعاصرة وبالتحديد مع القران الكريم , وهي قراءة تتقاطع مع الدراسات الاستشراقية والافكار الغربية التي تعاملت مع النص القرآني على انه نشأ في ظروف تأريخيه ثم أخضع للمناهج الحديثية .

ولهذا ينزع البحث للإجابة على الاشكالات المطروحة على الوجه التالي : ماهي تلك المباني والنظريات التي اثرت في قراءة النصوص الشرعية ؟ وهل ممكن مناقشتها على وفق الرؤى العلمية وبالنقد العلمي؟ ومن هم ابرز رواد تلك النظريات من الباحثين ؟ ولهذا قسم البحث الى عدة مقاصد فيبدأ بأهم تلك المباني وهو مبني التشكيك ونسبية المعرفة والتي جاءت كنتيجة طبيعية لتأثر بعض الباحثين بالفلسفة الغربية , تطورت هذه الفلسفة في الفكر الغربي وشاعت في اوساطهم وبالنتيجة اخذت اثرها في فلسفة الدين , وسرعان ما أسقطها الحداثويون الاسلاميون على النص الديني وفي المقصد الثاني كانت نظرية عدم معرفة لغة الدين بحقيقتها الواقعية والتي تسعى هذه النظرية الى إنكار إلوهية الوحي , وانه وليد الذهن والفكر والاحساسات الانسانية , بل ان لغة الدين هي لغة أسطورية وانها لغة الرموز, اما المقصد الثالث أنسنة النصوص الدينية الذي يناقش مبدأ تأصيل التسوية بين النص الديني وغيره مما تبناه بعض الباحثين والمفكرين الاسلاميين , حيث أن القران الكريم يتحول الى نص تاريخي واجتماعي مثل كتب التراث أي انه يصبح كتابا بشرياً مع قراءته ومحاولة فهمه .سائلا المولى جل وعلا ان تكون تلك الوريقات نافعة لطلاب العلوم والباحثين . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين .

إن القراءة التاريخية للنص الديني ترى بان كل حقيقة أو مفهوم أو فكرة أو حادثة هي خاضعة للشروط التاريخية , ولا دخل لها بمسائل الغيب والوحي وبهذا إخضاع الاحداث للصيرورة الزمانية والمكانية النسبية وبالتالي خضوع القران الكريم لأثر الزمان والمكان بشكل كلي , ونفي إطلاق النص وتعاليه , بل وعدم قدرته على مسايرة

الواقع المتغير[١] مما ينتج عنه القول بضرورة تغيير الاحكام والمفاهيم الدينية مع تغير الواقع السيال , لذا أنتج عن هذه الافكار نظريات ومباني فكرية تبناها بعض الباحثين الاسلاميين أرى من الضروري التطرق لها والرد عليها :

المقصد الاول : مبني التشكيك والمعرفة النسبية

إن من أهم العوامل التي أدت الى تأثر بعض الآراء في الفكر الديني بالقراءة التاريخية للنصوص هي الفكر الغربي ونظرياته التشكيكية في نفي القدرة عن ادراك الواقع وتغير المعرفة كنظرية كانت (ت . ١٨٠٤م)[٢] , وكذلك انتشار المذهب التجريبي والحسي وجعله المنهج الوحيد لحصول اليقين واثبات الاشياء , ومنذ ذلك الحين بدأت المباحث العقلية والفلسفية تفقد بريقها وظهرت مشكلة تعارض الدين والعلم , وبرزت آراء حصرت الدين والايمان بالتجربة الدينية الشخصية وجعلت منها الطريق الوحيد لإثبات الله تعالى والقضايا الدينية .[٣]

لقد تطورت هذه الفلسفة في الفكر الغربي وشاعت في اوساطهم وبالنتيجة اخذت اثرها في فلسفة الدين , وسرعان ما أسقطها الحداثويون الاسلاميون على النص الديني , فذهب البعض منهم الى أن التطور في المعرفة البشرية له دور في مجمل المعارف البشرية ومنها الفكر والمعرفة الدينية لأنها ستكون معرفة بشرية , والفهم الديني يخضع لمجموعة من العلوم البشرية , سواء كانت طبيعية أو اجتماعية أو لغوية وغيرها , وكل تغير في هذه العلوم سوف يؤثر في تغير فهمنا للدين , ولذا كان الباحث في المجال الديني معرضا للخطأ والتغيير في فهمه للدين , إذن ستكون المعرفة الدينية متغيرة وعصرية وغير ثابتة وبالنتيجة فهم الشريعة في كل عصر ليس كاملا ولا ثابتاً وليس ممتنعا عن الخطأ وليس له منشأ مقدس ورباني.[٤]

ويمكن نورد على هذا الفهم التشكيكي ونسبية المعرفة بأمرين :

---

١ (١) ينظر : الهاشمي , هاشم , اراء حداثية في الفكر الديني , نشر : مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر , ط ١ (٢٠٠٩م) بيروت – لبنان , ص ٦٦ – ٦٧ .

٢ (٢) فحواها أننا وإن كنا نعرف ظواهر الأشياء، فلا نستطيع أن نعرف حقيقتها الباطنية, ولما كان الشيء الواحد يظهر بمظاهر مختلفة لعدد من الأشخاص، فإنه من المتعذر أن نعرف الصواب في وجهات النظر , ينظر : الحاج , كميل , نشر : الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي , نشر : مكتبة لبنان , ط ١ (٢٠٠٥م) بيروت – لبنان , ص٤٦٤ و٤٦٦.

٣ (٣) ينظر : الهاشمي , هاشم , اراء حديثية في الفكر الديني , ص ١٤٩ .

٤ (٤) ينظر: سروش , عبد الكريم , نظرية القبض والبسط في الشريعة , نشر : دار الجديد , ط ١ (٢٠٠٢م) بيروت – لبنان , ص ٦٦ .

الاول – إن الفكر الاسلامي يؤمن بقدرة العقل على الادراك اليقيني في كثير من القضايا ويرفض مبدأ الشك فيها خاصة في العقائد الدينية وبعض القضايا البديهية كإستحالة التناقض , وقد اثبت القران الكريم ذلك في ذم التقليد الاعمى والاهتمام بالعقل والعلم والتفكير, قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ)[٥] ,كما أن إستخدام العقل فيما يتعلق بأحكام الشريعة وفهم الكتاب والسنة دوره الفعال لفهم المعارف والاحكام الدينية بل وفي استنباط ملاكات الاحكام الشرعية لان العقل وان كان عاجزا عن ادراكها لكنه بالاستعانة ببيانات المعصومين يمكن له ذلك , فأن فهم النص لابد ان يكون منسجما مع معطيات العقل , والنتيجة فان للعقل البشري مهما بلغ نظرة جزئية عاجزة عن الاحاطة والشمولية , والوحي لا يمر الا من قناة العقل ليتم فهمه وتعطيل اي من هذين المصدرين (الوحي والعقل) يحط من مكانة وشأن الانسان.[٦]

الثاني : إن عدم إدراك الانسان الحقائق بالحس او بالعقل لا يصلح دليلا لإنكارها فالإنسان يجهل الكثير عن نفسه وعن جسده وعن هذا الكون بل ان ما يجهله اكثر مما يعلمه , وان دعوى نسبية المعارف البشرية والثقافة الدينية وتغيرها تبعا لتطور العلوم البشرية يعتبر خلط بين المعرفة الثابتة والمعرفة المتغيرة وتعميم للنسبية على مجموع النصوص الاسلامية , وتقسيم النص الاسلامي الى ثابت ومتغير لا يعني جمود الثابت بل هو يخضع للقراءات العميقة التي لا تخرجه عن المعنى, ان القول بالنسبية المطلقة على جميع المعارف البشرية والدينية , وتعدد القراءات واختلافها في جميع المعارف الدينية لعدم ثباتها قول مجانب للصحة على اطلاقه , بل انه نابع من عدم التفريق بين النصوص الثابتة الصريحة وبين النصوص التي لها قابلية التحول في الفهم .[٧]

المقصد الثاني : نظرية عدم معرفة لغة الدين بحقيقتها الواقعية

تسعى هذه النظرية الى إنكار إلوهية الوحي , وانه وليد الذهن والفكر والاحساسات الانسانية , بل ان لغة الدين هي لغة أسطورية وانها لغة الرموز وانها غير منطقية, (كان الغربيون الى القرن السادس عشر كجميع الامم المتدينة يقولون بالوحي , وكانت كتبهم مشحونة بأخبار الانبياء , فلما جاء العلم الجديد بشكوكه ومادياته ذهبت الفلسفة

---

[٥] (٥) البقرة : ١٧٠

[٦] (٦) ينظر : المكراني , عبد الجليل , تأثر الاحكام بعصر النص , نشر : مؤسسة الكوثر للمعارف الاسلامية , ط ١ (١٤١٠هـ) قم – ايران , ص ٨٥ .

[٧] ٧) ينظر : البيطار , زهير , حوارات حول فهم النص , نشر : دار الهادي , ط ١ (٢٠٠٦م) بيروت – لبنان , ص ٣٧ – ٣٨ .

الى مسألة الوحي هي بقايا الخرافات القديمة التي أنكرت الخالق والروح معا)[٨] . وربما الذي دعا الى القول برمزية اللغة الدينية هو اعتقادهم بوجود الكثير من الابهامات الغامضة في النص الديني مثل وجود الله تعالى وصفاته , وكذلك عدم قبولهم بالأفكار والمعتقدات في الفكر المسيحي كقولهم بالتثليث وتجسيد الله تعالى في الابن مما لا يتقبله العقل الصحيح. [٩]

إن بعض المفكرين المسلمين قد تفاعلوا مع هذه النظرية وتأثروا بها , وعمموا هذه الافكار في عدم معرفية النصوص الدينية حتى وصلت الى النص القراني , حيث لوحظ عند محمد مجتهد شبستري رأيه في عدم المعرفة الواقعية للعبارات الدينية ورمزيتها فيقول : (إن فلسفة الدين الجديدة عبارة عن معرفة اليات ومجازات الدين الرمزية , وفي فلسفة الدين الجديدة لغة الدين لغة رمزية , ومعرفة أي دين هي في الحقيقة معرفة لمجموعة من رمزيات لغة ما ..... , وفي الواقع يعتبر الاسلام واحد من القراءات للمتون الدينية وتوضيح الرموز والمجازيات) . [١٠]

وصرح نصر حامد ابو زيد برؤيته الخاصة في رمزية الوحي وغموضه , وبعدم المعرفة الواقعية للعبارات القرآنية يقول : (إن القران ليس شيئا غير التأويلات والمفاهيم والتعابير المبتكرة التي أوجدها النبي نتيجة تأثره بالواقع الجاهلي)[١١] , حيث أنكر وجود الجن وفسر حديث القران عنه بتأثر هذا القران بالعقلية العربية الجاهلية التي تعتقد بوجود الجن وإتصاله بالبشر , وزعم ان القران قد استثمر هذه الفكرة لصالح الاسلام . [١٢]

ولضرورة نقد هذه النظرية والرد عليها وجب السؤال بالإمكان أو عدمه ونقول : هل يمكن أن تكون لغة القران أسطورية أو رمزية ؟ قد يقال : إن الباحثين والمفكرين الغربيين قد أسسوا نظريتهم حول كل الاديان والاعتقادات والمتون الدينية , ولم يحددوها بدين خاص , ونرى إن ما صنعه بعض الباحثين في العالم الاسلامي سار على

---

٨ (٨) معرفة , محمد هادي , التمهيد في علوم القران , نشر : دار التعارف للمطبوعات , ط ١ (٢٠١١م) قم – ايران ,ج ١ , ٧٥

٩ (٩) سفر التكوين , الاصحاح : ٦ – ٩ ما روي في التوراة من قصة الطوفان ولوط مع ابنتيه , وكذلك سفر التكوين رقم ١٩ يعقوب يصارع الرب .

١٠ (١٠) شبستري , محمد , نقد القراءة الرسمية للدين , ترجمة : أحمد القبانجي , نشر : دار الانتشار العربي , ط ١ (٢٠١٣ م) بيروت – لبنان , ص ٢٧٥

١١ (١١) أبو زيد , نصر حامد , مفهوم النص – دراسة في علوم القران , نشر : المركز الثقافي العربي , ط١ (٢٠١٤م)بيروت – لبنان , ص ٣٢ - ٣٧

١٢ (١٢) ينظر : المصدر نفســـــه

وفاق ذلك , وبعد التأمل بالآراء المذكورة لا يمكن أن تثبت اللغة الاسطورية للقران وذلك للإشكالات الاتية :

١- إن استناد أصحاب هذه النظرية كان على الاستقراء الناقص الذي لا يمثل حجة منطقية , لانهم عملوا على تعميم النتيجة التي توصلوا اليها على بقية الاديان رغم الانحرافات التي أُسُست بعد التلاعب بنصوصها وتغيير مضامينها, ولم يرجعوا – أصحاب هذه النظرية - الى الدين الاسلامي ويتفحصوه بدقة , وانما رجعوا الى العقائد الخرافية للإنسان البدوي القديم واستمعوا لما قالوه حول الدين والخالق تعالى [١٣] , وإسقاط هذه النظرية على آيات القران الكريم قياس مع الفارق .

٢- عند التأمل في تلك المقولات التي تتبني أسطورية اللغة الدينية لوجدنا أن المعيار عندهم في ذلك هو اعتقادات الناس البسطاء , فهم يعبرون بالدين ما يفرزه الناس من عقائد وأعمال وآثار , وهذا المعيار يتنافى مع العقل والمنطق لأنه وكما هو واضح بطلان الاعتقاد بان عقائد الناس واعمالهم هي الدين بعينه ووجود العقائد الاسطورية بين الناس ليس دليلا على انطباقها مع المتون الدينية لهم. [١٤]

٣- نلاحظ ان المستند في نظريات الغرب على وجود القضايا الغامضة والمعقدة التي لازالت في الدين كمسالة وجود الله وصفاته والمعاد والنشور الا انه (لا يمكن ان نصف أي شيء غامض بالأسطورة والخيال , لأننا نرى الكثير من القضايا في عالمنا اليوم غامضة ولم تحل الى الان كما هو الحال في العلوم الطبية أو علم الكيمياء والفلك وغيرها , فهل أن الغموض والتعقيد في هذه العلوم والمسائل يجعلها أسطورية , وعليه يكون فيثاغورس وأينشتاين من اكابر علماء الاسطورة) [١٥] , وعليه ممكن مناقشة ونقد نظرية رمزية الخطابات القرآنية التي تبناها بعض الباحثين الاسلاميين من امثال محمد مجتهد شبستري وعبد الكريم سروش بعدة أمور منها :

اولا – مخالفة هذا الرأي لصريح آيات القران الكريم حيث يقول جل وعلا : (وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) [١٦](وليس معنى كونه الحق الا انه يطابق الواقع ويتحدث عن قضايا حقيقية لا علاقة لها بالوهم والخيال). [١٧]

---

١٣ (١٣) ينظر : الهاشمي , هاشم , الحداثة والفكر الاسلامي , ص ٣٠٩

١٤ (١٤) ينظر : المصدر نفســـــه

١٥ (١٥) سعيدي , محمد باقر , لغة الدين اتِّجاهات معاصرة في دائرة النقد , نشر : مجلة المنهاج , العدد(٦٠) السنة الخامسة عشر ١٤٣٢هـ ٢٠١١ م

١٦ (١٦) الاسراء : ١٠٥

١٧ (١٧) المكراني , عبدالجليل , تاثر الأحكام بعصر النص , ص ٩٥

ثانيا – لازم كلامهم أن القران لا تتوافر فيه خاصية الهداية وإراءة الطريق للناس , لان لغة القران لغة محيرة ورمزية , ولذا ستكون الخطابات الصادرة من الوحي لا تملك المصداقية , بالنتيجة ستكون ساقطة عن الاعتبار , وهذا لا ينسجم مع الغاية العظمى من نزول القران مما يؤدي الى نقض الغرض , لان الاهداف والاثار التي يستهدفها الدين لا تتحقق بدون واقعية مضمون اللغة الدينية . [١٨]

ثالثا – (لا يخفى ان من الاساليب البلاغية التي يستعملها القران كالاستعارة والكناية والرمزية وغيرها هي لغرض التأثير الافضل على القارئ والمخاطب , وهذا لا يقتضي أن تكون جميع الفاظه مجازية , ولا يحمل اللفظ على المجاز الا بوجود قرينة , اما الرمزية فهي لا تحد اللفظ بمعنى معين لأنها لا تستند الى قرينة عقلائية لان سيرة العقلاء قائمة على أن ظاهر كلام العاقل يعبر عن الواقع). [١٩]

المقصد الثالث : أنسنة النصوص الدينية

إن مبدأ تأصيل التسوية بين النص الديني وغيره مما تبناه بعض الباحثين والمفكرين الاسلاميين , حيث أن القران الكريم يتحول الى نص تاريخي واجتماعي مثل كتب التراث , أي انه يصبح كتابا بشرياً مع قراءته ومحاولة فهمه , حيث تبنوا أن القران ليس الا نتاج ظروف تأريخية تشكل من حصيلة تراكمات اجتماعية وتاريخية , الا ان الملاحظ عليهم اختلاف مراداتهم من أنسنة النص القرآني , فمثلا يرى بعضهم : (أن الوحي ألهام , وهو كالتجربة التي يخوضها الشعراء والعرفاء , وأن الشعر مثل الوحي فهو استعداد وقريحة)[٢٠] , وهو بهذا أن مضمون الوحي من الله تعالى ولكن صياغته تكون من كلمات النبي خلال معايشته للتجربة النبوية التي يوجدها أي ان النبي له دورا محورياً في إبداع القران .

أما الدكتور نصر حامد فيتبنى ألوهية النص القرآني ولكنه يرى انه نزل على شكل رموز وشفرة لغوية حيث يقول : (والقران نص مقدس من ناحية منطوقه , ولكنه يصبح مفهوماً بالنسبي والمتغير, أي من جهة الانسان , ويتحول الى نص انساني , ومن الضروري ان نؤكد هنا أن حالة النص المقدس حالة ميتافيزيقية لا ندري عنها شيء إلا

---

١٨ (١٨) ينظر : المكراني , عبدالجليل , تاثر الأحكام بعصر النص , ص ٩٥

١٩ (١٩) روشن , محمد باقر , منطق الخطاب القراني – دراسات في لغة القران , ترجمة : رضا شمس الدين , نشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي , ط ١ (٢٠٠٦م) بيروت – لبنان , ص ٢٣١

٢٠ (٢٠) سروش , عبدالكريم , حوار مع الصحفي الهولندي ميشال هوبنغ , مجلة النصوص المعاصرة , العدد (١٧) لسنة ٢٠٠٨ , ص ٦٠

ما ذكره النص ونفهمه بالضرورة من زاوية الانسان المتغير النسبي)[٢١] وهو بهذا يرى أن القران يصبح بشرياً منذ نزوله على النبي (صلى الله عليه واله) ويأخذ صورة الذهنية البشرية في لحظة تأويله وفهمه من قبل الرسول .

ونلاحظ أن مسألة الوحي عند الحداثويين الاسلاميين تشكل إبهام وغموض ولا يمكن تفسيرها بصورة واضحة , لذا تفاوت الفهم لديهم ونلاحظ ذلك في قول محمد مجتهد شبستري في مسألة الوحي: (إن أساس الدين والتدين والتجربة الدينية , هي لا تحصل في الجميع بدرجة واحدة , وهي تحصل من حضور الانسان في محور الالوهية , وأن الايمان قائم على هذه التجارب , أما العقائد والتعاليم فهي تفسير لهذه التجارب). [٢٢]

وأرى من المناسب نقد هذه الآراء ومناقشتها من خلال عدة أمور تحتاج الى تفصيل وتدقيق وتبويب ونبدأها بما يلي :

أ – مناقشة مسألة أن الوحي تجربة دينية :

عند دراسة المنشأ الاساس لنظرية جعل التجربة الدينية مرادفة للوحي نلاحظ انه (النزعة العقلية المفرطة , والرومانتيكية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر في نقد الكتاب المقدس , وتعارض العهدين مع العقل والعلم , والحال ان اي واحد من هذه العوامل لا يمكن قبوله في فكرة تجريبية الوحي بالنسبة للإسلام) [٢٣]

ومع ملاحظة التتبع في جذور هذه النظرية يصل بنا الى الرؤية المسيحية للوحي , حيث تذهب هذه الرؤية الى كون الوحي من سنخ التجربة الدينية , وهي الرؤية البروتستانتية في مضامينها التعبدية , فالوحي في هذه الرؤية يستند الى شخص المسيح نفسه , وأما الوحي في الاسلام فهو حقيقه كلامية وما ينتج عن الوحي يسمى كلام الله [٢٤] . إن النظرة التي حددت مسألة الوحي بالتجربة الدينية تبتني على أن القران ناتج ومحصول تجربة دينية عرفانية , وإنه لا يوجد دليل على ضرورة كون العبادات القرآنية لها معرفة واقعية , لان لغة الوحي هي تجسيد الاحساسات وإظهارها للفرد

---

٢١ (٢١) نصر حامد ابو زيد , دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة , نشر : المركز الثقافي العربي , ط ٣ (٢٠٠٤م) بيروت – لبنان , ص ٩٦

٢٢ (٢٢) شبستري , محمد مجتهد , الهرمنيوطيقا الكتاب والسنة , ترجمة : حيدر نجف , نشر : دار التنوير , ط ١ (٢٠٠٤م) بيروت – لبنان , ص ١٢٣ .

٢٣ (٢٣) ساجدي , ابو الفضل , الوحي والتجربة الدينية – المعرفة الفلسفية , نشر : المجمع العالمي لاهل البيت (ع) , ترجمة وتحقيق : مرتضى ذاكري , ط ١ (٢٠١٢م) قم – ايران , ص ٨٣ .

٢٤ (٢٤) ينظر : صادقي , هادي , مقالة بعنوان : تهافت نظرية ثبوت القران – مطالعات نقدية جادة , نشر :مجلة نصوص معاصرة , العدد (١٧) لسنة ٢٠٠٧م , ص ٣٧ – ٤٥ .

المتدين , لقد أثرت هذه الافكار من التراث المسيحي على بعض الباحثين الاسلاميين حتى وصلت الى مستوى التبني ,يقول أحمد خان الهندي (ت . ١٨٩٨م) : (إن النبوة ملكة طبيعية خاصة كسائر الملكات البشرية التي تتفتق عندما تتوفر ظروفها وبيئتها , ما الوحي الا عبارة عن نشاط العقل الالهي في النفس والعقل القدسي البشرية). [٢٥]

ومن أهم الاشكالات التي تواجهها هذه النظرية هي : انه لا دليل عقلي أو علمي أو وجداني أو نقلي عليها , فمتى ورد عن النبي (صلى الله عليه واله) أنه ذكر أن القران كلام منبثق من إحساسه بتجربة روحية أو حالة معنوية ؟ وأن دور النبي هو في انتاج الوحي حيث أن العديد من الآيات تتنافى مع هذه الفكرة , كقوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) . [٢٦]

وأيضاً قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[٢٧] , وغيرها من الآيات التي تتنافى صريحا مع متبنيات هذه النظرية .

ب – بيان الفرق بين الوحي والتجربة الدينية :

عند النظر الى المعنى الاصطلاحي للوحي نجد بان علماء الكلام والمفسرين قد عرفوه بانه : (البيان الذي ليس بإيضاح, نحو الإشارة والدلالة, لأنّ كلام المَلَك كان للرسول (ص) على هذا الوجه)[٢٨] وفي موضع آخر ذكر بأنّه : (الإيحاء إلقاء المعنى في النفس على وجه يخفى, وهو ما يجيء به من دون أن يرى ذلك غيره من الخلق)[٢٩] , ويتّضح من خلال التحديدين السابقين أنّهما ناظران إلى أكثر أنحاء الوحي وروداً في القرآن الكريم, وهو طريق وحي القرآن الكريم نفسه, عبر إرسال مَلَك, وهو جبرائيل (ع) إلى النبي (صلى الله عليه واله) , قال تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ). [٣٠]

---

٢٥ (٢٥) صادقي , هادي , مقالة بعنوان : تهافت نظرية ثبوت القران, نشر : مركز البحوث المعاصرة , ص ٢١

٢٦ (٢٦) طـــه : ١١٣

٢٧ (٢٧) الشورى : ٥٢

٢٨ (٢٨) الطوسي , محمد بن الحسن , التبيان في تفسير القرآن، نشر: دار احياء التراث العربي ,ط ٢ (٢٠٠٥م) بيروت – لبنان , ج ٤، ص ١٤٢.

٢٩ (٢٩) المصدر نفســـــــه

٣٠ (٣٠) الشعراء : ١٩٣ – ١٩٤

وحدّد السيّد الطباطبائي الوحي بأنّه: (إلقاء المعنى بنحو يخفى على غير من قُصِدَ إفهامه)[٣١] ويشمل هذا التحديد كلّ أنحاء الوحي، فيدخل فيه الوحي المباشر(بلا واسطة) والوحي غير المباشر(كالوحي بواسطة مَلَك). وقد قرّر الأدب الديني في الإسلام أن لا يطلق الوحي على غير ما عند الأنبياء والرسل عليهم السلام من التكليم الإلهي. [٣٢]

أما التجربة الدينية , فأن للإنسان تجارب متنوعة يكتسبها طول حياته كالتجارب الفكرية والمهنية والعاطفية وغيرها , ولكن هناك (تجارب نخوضها وهي تتعلق بأمور غير معتادة كإحساساتنا الداخلية بالأمور المتعلقة بما وراء الطبيعة (الغيبية) فحينما يشعر الانسان في نفسه أن لديه ارتباطا بالمطلق من حيث كونه الحقيقة اللامتناهية أو بعض التجليات فيما يتعلق بعلاقة الانسان مع خالقه فهذا ما يطلق عليها اسم (التجربة الدينية) أي انها الشعور والاحساس الديني). [٣٣]

لذا ومن خلال ما تقدم فأن هناك الكثير من الفوارق بين الوحي الالهي والتجربة الدينية الشخصية منها :

١- إن الوحي الرسالي هو نوع من إلقاء المعنى وانتقال المعلومات والعبارات والتعاليم الدينية (أعم من كونها فقهية أو اخلاقية أو تاريخية) وهي واجبة الاتباع , ومن خلال تتبع إستعمالات الوحي في القران يلاحظ أنه يطلق على ألقاء المعارف والعلوم ولا يطلقها على الاحاسيس والعواطف التي هو قوام التجربة الدينية الباطنية, ونرى هذا واضحا في قوله تعالى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ)[٣٤] , وقال أيضاً : (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا)[٣٥] فأن الآيتان قد بينتا أن التكلم هو أحد أقسام الوحي الالهي , وأما هاتان الآيتان في قوله تبارك وتعالى :(أَتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)[٣٦] وقوله : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ

---

[٣١] (٣١) الطباطبائي، محمد حسين , الميزان في تفسير القرآن، نشر : مؤسسة الاعلمي , ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) بيروت – لبنان ,ج ١٢، ص ٤٩٢.

[٣٢] (٣٢) ينظر : الطباطبائي، محمد حسين , الميزان في تفسير القرآن , ص ٢٩٥

[٣٣] (٣٣) خسروبناه , عبد الحسين , حقيقية التجربة الدينية , نشر : مجلة العقيدة , العدد (٨) لسنة ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م , ص ٨٦ .

[٣٤] (٣٤) البقرة : ٢٥٣

[٣٥] (٣٥) النساء : ١٦٤

[٣٦] (٣٦) الانعام : ١٠٦

فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ)[٣٧] , ففيهما إشارة واضحة بأن الوحي قابل للاتباع وهذا بخلاف التجربة الدينية لأنها مجرد أحاسيس وأمر باطني شخصي ولا وجوب لاتباعه عقلا. [٣٨]

٢- النصوص القرانية تبين لنا أن فحوى تلقي الوحي والتعاليم الربانية هو إبلاغ وبيان للناس من قبل النبي (صلى الله عليه واله) ,بينما التجربة الدينية على الاغلب تكون موادها وتكوينها غير قابلة للبيان والشرح لأنها مبهمة , واذا تم بيانها فهي تقتصر على اشياء محدودة , والفرق واضح في البين. [٣٩]

٣- من المقتضيات العقلية التي يطمأن لها هي صدور الوحي من مصدر لا يقبل الخطأ , دلت على ذلك العديد من الآيات منها قوله تعالى : (وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٤٠] , أما (التجارب الدينية فهي تختلف باختلاف المجربين , بل قد تكون متضادة في بعض الاحيان ولا يمكن الاعتماد عليها , كما ان نزول الوحي الالهي ليس متعلقاً بالحالات النفسية والمعنوية التي تكون عند النبي (صلى الله عليه واله) ولا خاضعة لإرادته بل هو مرتبط بحاجة المجتمع الاسلامي لنزول تعاليم وانظمة تسير حياته , ومن الملاحظ على التجربة الدينية انها خاضعة لإرادة الشخص الذي يمر بها) . [٤١]

ج - مناقشة رؤية نصر حامد أبي زيد حول مفهوم النص القرآني:

يتبنى أبي زيد : أن القران ذو صبغة مادية تعطي مفادا يبتني على الرؤية الغربية للوحي القائلة : إن النص بعد ان يكتب ينفصل عن مؤلفه ويصبح ملكا للقارئ , وان القارئ هو الذي يستخرج منه المعاني عن طريق عملية التأويل , وهذا يتعارض مع المنهج التقليدي الذي يتعامل مع النص القرآني على انه كتاب الله تعالى وبذات الوقت يحفظ قداسته وخصوصيته[٤٢] . فيقول : (النصوص الدينية تقرر دائما مباديء مثالية ذات طابع إنساني ويظل الأمر في النهاية مرهوناً بفعالية العقل الانساني المخاطب

---

٣٧ (٣٧) الاعراف : ١١٧

٣٨ (٣٨) ينظر : المكراني , عبد الجليل , تأثر الاحكام بعصر النص , ص ١٠٥.

٣٩ (٣٩) ينظر : المصدر نفســـــه .

٤٠ (٤٠) يونس : ٣٧ - ٣٨

٤١ (٤١) حب الله , حيدر , الوحي والظاهرة الدينية , نشر : مؤسسة الانتشار العربي , ط ١ (٢٠٠٧م) بيروت – لبنان , ص ٦٣ .

٤٢ (٤٢) ينظر : نصر حامد ابو زيد , دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة , ص ٦٧

والذي يقوم من خلال عمليات التفسير والتأويل بتنزيل تلك المباديء على ارض الواقع في صياغات فكرية محددة تتوقف على طبيعة الاطار المرجعي المعرفي ..)[٤٣]

ومن الواضح ان هذه الرؤية تطعن في عصمة الكتاب العزيز وتتناقض مع النظرة الاسلامية الى القران الكريم على انه كلام الله الواجب الايمان به والعمل به, وقوله ان النص القرآني نص لغوي مشفر ومُرمز وإن كان لا ينفي بشكل صريح ألوهية القران حال نزوله , لكنه يجعل منه نصاً بشرياً متلبساً بالتأويلات النبوية أو البشرية . وممكن الرد على هذه الدعوى بعدة أمور أهمها : [٤٤]

الاول – إن الهدف الكامن وراء نزول القران هو هداية العالمين, وهذه الهداية لا تتحقق الا بالتدبر فيه والايمان بمضامينه , ومع كون القران غير قابل للفهم يستلزم نقض الغرض وهو باطل عقلا.

الثاني – هذه الرؤية تتعارض مع الكثير من الآيات التي تصرح بأن القران تبيان لكل شيء , كقوله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)[٤٥] فلا يمكن أن يكون القران الكريم تبياناً لكل شيء فكيف يكون مبهماً وغامضا .

الثالث – من لوازم هذه الرؤية هو جعل النبي) صلى الله عليه واله) من المؤولين شأنه في ذلك شأن البشر العاديين فقد يصيب وقد يخطأ من ناحية الفهم للآيات المنزلة عليه والنتيجة تجر على سنته وأحاديثه وهذا مخالف لما صرحت به الآيات من عصمة النبي (صلى الله عليه واله) كما في قوله تعالى : (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى)[٤٦] ,وايضاً قوله تعالى : (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٤٧] , وكذلك في الآيات التي دلت على وجوب اتباع النبي والاقتداء به كما في قوله تعالى : (يا أيُّها الَّذين آمَنُوا أطيعوا الله وأطيعوا الرَّسولَ وأُولي الأمرِ منكُم فإن تنازعتُم في شيءٍ فرُدُّوه إلى الله والرَّسولِ إن كنتم تؤمنونَ بالله واليومِ الآخِرِ ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً) [٤٨]

---

[٤٣] (٤٣) المصدر نفســــــه , ص ١٣٢

[٤٤] (٤٤) علي حرب , نقد النص , نشر : المركز الثقافي العربي , ط ٤ (٢٠٠٥م) بيروت – لبنان , ص ٢١٩ .

[٤٥] (٤٥) المائدة : ١٥

[٤٦] (٤٦) النجم : ٣ – ٤

[٤٧] (٤٧) النحل : ٤٤

[٤٨] (٤٨) النساء : ٥٩

الخاتمة :

لابد لأي بحث من نتائج تنصب فيها ما توصل اليه الباحث من خلال طيات بحثه ولذا يمكن ان نذكر عدة نتائج تمحظت فيها الخاتمة وهي مترتبة على ما تقدم :

اولا - أن الفهم والادراك الذي لابد ان يتعامل بهما في طبيعة تفسير النصوص الشرعية لابد ان يكونا منسجمين مع معطيات العقل , مما يترتب عليه من نتيجة مهمه وهي أن العقل البشري مهما بلغ فانه يمثل نظرة جزئية عاجزة عن الاحاطة والشمولية , والوحي لا يمر الا من قناة العقل ليتم فهمه.

ثانيا - أن المباني التي تتبني أسطورية اللغة الدينية عند التدقيق فيها نجد أن المعيار عندهم في ذلك هو عقيدة الناس البسطاء , فهم يعبرون بالدين ما يفرزه الناس من عقائد وأعمال وآثار , وهذا المعيار يتنافى مع العقل والمنطق لأن بطلان هذا الاعتقاد أمر مفروغ عنه بان عقائد الناس واعمالهم هي الدين بعينه, وأن وجود العقائد الاسطورية بين الناس ليس دليلا على انطباقها مع المتون الدينية .

ثالثا – ان نظرية جعل النص الديني من زاوية انسانية لا دليل عقلي أو علمي أو وجداني أو نقلي عليها , لان النبي (ص) لم يذكر أن آيات الله تعالى والقران كلام منبثق من احساسه وأن دوره هو في انتاج الوحي حيث أن العديد من الآيات تتنافى مع هذه الفكرة .

وبالتالي لابد من اعادة النظر بجميع تلك المباني والنظريات على وفق المعطيات العلمية المستندة الى دائرة العقل والنقل لان الحداثة لا تعني الخروج تلك الدائرة بل محاكاتها والتوصل الى ما يستند عليه ويثبت الدعائم الاساسية للدين .

المصادر والمراجـــــــع

القران الكريم

١- الهاشمي , هاشم , اراء حديثية في الفكر الديني , نشر : مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر , ط١ (٢٠٠٥م)م بيروت – لبنان .

٢- نصر حامد ابو زيد , دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة , نشر : المركز الثقافي العربي , ط ٣ (٢٠٠٤م) بيروت – لبنان .

٣- المكراني , عبد الجليل , تأثر الاحكام بعصر النص , نشر : مؤسسة الكوثر للمعارف الاسلامية , ط ١ (١٤١٠هـ) قم – ايران .

٤- معرفة , محمد هادي , التمهيد في علوم القران , نشر : دار التعارف للمطبوعات , ط ١ (٢٠١١م) قم – ايران

٥- علي حرب , نقد النص , نشر : المركز الثقافي العربي , ط ٤ (٢٠٠٥م) بيروت – لبنان.

٦- الطوسي , محمد بن الحسن , التبيان في تفسير القرآن، نشر: دار احياء التراث العربي ,ط ٢ (٢٠٠٥م) بيروت – لبنان .

٧- الطباطبائي، محمد حسين , الميزان في تفسير القرآن، نشر : مؤسسة الاعلمي ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) بيروت – لبنان .

٨- صادقي , هادي , مقالة بعنوان : تهافت نظرية ثبوت القران – مطالعات نقدية جادة , نشر :مجلة نصوص معاصرة , العدد (١٧) لسنة ٢٠٠٧م .

٩- شبستري , محمد مجتهد , الهرمنيوطيقا الكتاب والسنة , ترجمة : حيدر نجف , نشر : دار التنوير , ط ١ (٢٠٠٤م) بيروت – لبنان .

١٠- شبستري , محمد , نقد القراءة الرسمية للدين , ترجمة : أحمد القبانجي , نشر: دار الانتشار العربي , ط ١ (٢٠١٣ م) بيروت – لبنان .

١١- سفر التكوين , الاصحاح : ٦ – ٩ ما روي في التوراة من قصة الطوفان ولوط مع ابنتيه , وكذلك سفر التكوين رقم ١٩ يعقوب يصارع الرب .

١٢- سعيدي , محمد باقر , لغة الدين اتِّجاهات معاصرة في دائرة النقد , نشر : مجلة المنهاج , العدد(٦٠) السنة الخامسة عشر ١٤٣٢هـ ٢٠١١ م .

١٣- سروش , عبد الكريم , نظرية القبض والبسط في الشريعة , نشر : دار الجديد , ط ١ (٢٠٠٢م) بيروت – لبنان .

١٤- سروش , عبدالكريم , حوار مع الصحفي الهولندي ميشال هوبنغ , مجلة النصوص المعاصرة , العدد (١٧) لسنة ٢٠٠٨ .

١٥- ساجدي , ابو الفضل , الوحي والتجربة الدينية – المعرفة الفلسفية , نشر : المجمع العالمي لاهل البيت (ع) , ترجمة وتحقيق : مرتضى ذاكري , ط ١ (٢٠١٢م) قم – ايران .

١٦- روشن , محمد باقر , منطق الخطاب القراني – دراسات في لغة القران , ترجمة : رضا شمس الدين , نشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي , ط ١ (٢٠٠٦م) بيروت – لبنان.

١٧- خسروبناه , عبد الحسين , حقيقية التجربة الدينية , نشر : مجلة العقيدة , العدد (٨) لسنة ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦ .

١٨- حب الله , حيدر , الوحي والظاهرة الدينية , نشر : مؤسسة الانتشار العربي ط ١ (٢٠٠٧م) بيروت – لبنان .

١٩- البيطار , زهير , حوارات حول فهم النص , نشر : دار الهادي , ط ١ (٢٠٠٦م) بيروت – لبنان .

٢٠- أبو زيد , نصر حامد , مفهوم النص – دراسة في علوم القران , نشر : المركز الثقافي العربي , ط١ (٢٠١٤م) بيروت – لبنان .